النفس وأثر القرآن الكريم في تحقيق الأمن النفسي

د. أحمد بن عمر بن أحمد السيد
جامعة أم القرى ـ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
مركز الدراسات الإسلامية

مُقَدِّمَة

الحمد لله القائل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ الأنعام: ٨٢، والصلاة والسلام على من بعثه الله هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، أحمده وأثني عليه ما تعاقبت الليالي والأيام، ثناءً يليق بجلاله وكبريائه وسلطانه، خلق فأبدع، وأرسل وشرّع، أنار لنا الدروب، وأحيا بكتابه القلوب. أما بعد:

فإن مما لا شك فيه أن كلاً منا يبحث لنفسه عن السعادة ويسعى إليها، فهي أمل كل إنسان، ومنشود كل البشر، والتي بها يتحقق له الأمن النفسي.

والسعادة التي نعنيها هي السعادة الروحية الكاملة التي تبعث الأمل والرضا، وتُثمر السكينة والاطمئنان، وتحقق الأمن النفسي والروحي للإنسان، فيحيا سعيداً هانئاً آمناً مطمئناً.

وليس الأمن النفسي بالمطلب الهين فبواعث القلق والخوف والضيق، ودواعي التردد والارتياب والشك تصاحب الإنسان منذ أن يولد وحتى يواريه التراب.

ولقد كان أساس الإسلام الذي يقوم عليه كل بنائه هو حماية الإنسان من الخوف والفزع والاضطراب، وكل ما يحد حريته وإنسانيته، والحرص على حقوقه المشروعة في الأمن والسكينة والطمأنينة.

إن الإسلام يقيم صرحه الشامخ على عقيدة أن الإيمان مصدر الأمان، والإقبال على الله هو الطريق الموصل إلى السكينة والطمأنينة والأمن، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلاّ بالعيش مع هذا الكتاب العظيم وجعله منهج حياة.

موضوع البحث:

يتعرض البحث للتعريف بالنفس الإنسانية وأثر القرآن الكريم في تحقيق السكينة والطمأنينة لها.

أسباب اختيار الموضوع:

١- الوقوف على حقيقة النفس الإنسانية وأنواعها في القرآن الكريم.

٢- إبراز أهمية الأمن وأثر القرآن الكريم في تحقيقه.

أهمية الموضوع:

١) الاضطراب الشديد لدى الأفراد والمجتمعات، والقلق النفسي الذي يعشيه كثير من الناس، كل ذلك أصبح بحاجة ماسة إلى معالجته من خلال القرآن الكريم.

٢) التركيز على الماديات في مناقشة توفير الأمن النفسي للإنسان وإغفال الجانب الروحي أثار ضرورة الاهتمام بالجانب الروحي. وهذا ما يحاول البحث تحقيقه إن شاء الله.

٣) أثبت الواقع حالات عديدة لأشخاص غير عرب وغير مسلمين بدا عليهم التأثر بالقرآن الكريم، مما يشير إلى ضرورة البحث في هذا السِّر القرآني.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى هدف رئيس وهو **بيان أثر القرآن الكريم في تحقيق الأمن النفسي**

كما يهدف إلى أهداف فرعية أخرى تتمثل في:

١-التعريف بالنفس.

٣- ذكر أنواع النفس في القرآن الكريم.

٤- بيان خصائص النفس في القرآن الكريم.

الدراسات السابقة:

١-النفس وحقيقتها في القرآن الكريم. للدكتورة/ رانيا محمد نظمي.

وهو بحث منشور في مجلة كلية الآداب بجامعة المنوفية.

٢- طبيعة النفس البشرية في القرآن الكريم. للباحثين /عاطف شواشرة، وسهاد بني عطا. وهو بحث منشور في مجلة جامعة النجاح للعلوم الإنسانية بفلسطين. وغيره من الأبحاث ممن انفرد بجزئية فقط من جزئيات هذا البحث.

منهج البحث: اقتضت طبيعة الموضوع استخدام المنهج الوصفي التحليلي

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من مقدمة وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة: وفيها أسباب اختيار الموضوع، وأهميته، وأهدافه، والدراسات السابقة ومنهجه وخطته.

المبحث الأول: مدخل إلى النفس في ضوء القرآن الكريم، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف النفس، وبيان دلالاتها في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الأمن النفسي.

المطلب الثالث: أنواع النفس في القرآن الكريم.

المطلب الرابع: خصائص النفس في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: دور القرآن الكريم في التربية النفسية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الأمر بتوحيد الله عز وجل.

المطلب الثاني: الإرشاد إلى طلب العلم والعمل بمقتضاه.

المطلب الثالث: الأمر بمكارم الأخلاق والنهي عن رذائلها.

المبحث الثالث: وسيلة تحقيق الأمن النفسي وأهم أثارها.

المبحث الرابع: تطبيقات على أثر القرآن الكريم في الأمن النفسي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أثر القرآن الكريم على النفس.

المطلب الثاني: أثر القرآن الكريم على القلب.

المطلب الثالث: أثر القرآن الكريم على السلوك.

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج.

الفهارس.

هذا وأسأل الله العظيم، رب العرش الكريم، أن يوفقني لما يحب ويرضى، وأن يجعل عملي المتواضع هذا خالصاً لوجهه الكريم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،،،

المبحث الأول: مدخل إلى التعريف بالنفس ودلالاتها في القرآن

المطلب الأول: تعريف النفس وبيان دلالاتها في القرآن الكريم

التعريف اللغوي لكلمة نفس:

النون والفاء والسين: أصل واحد يدل على خروج النسيم كيف كان من ريح أو غيرها وإليه يرجع فروعه من التنفس، وسميت نفساً لتولد النفس منها واتصاله بها، وقد ورد في كتب اللغة العديد من التعريفات للنفس منها: (العين، الدم، الجسد، نفس الشيء: عينه وذاته، الروح، العند، العقل، العظمة، الكبر، العزة، الهمة، الأنفة، الإرادة، الإنسان جملة روحاً وجسداً، القوة والجلد، الغيب، العقوبة، الحقيقة، الأخ، القرب.[١]

تعريف النفس الإنسانية في اصطلاح العلماء:

اختلف العلماء والفلاسفة والمتكلمون في تعريف النفس اختلافا كبيرا يطول ذكره ويخرج بنا عن المقصود[٢]، وقد ذكر ابن القيم هذه الأقوال وناقشها في المسألة التاسعة عشرة من كتاب الروح ثم رجح "أنها جسم مُخَالف بالماهية لهَذَا الْجِسْم المحسوس وَهُوَ جسم نوراني علوي خَفِيف حَيّ متحرك ينفذ فِي جَوْهَر الْأَعْضَاء، ويسري فِيهَا سريان المَاء فِي الْورْد وسريان الدّهن فِي الزَّيْتُون وَالنَّار فِي الفحم فَمَا دَامَت هَذِه الْأَعْضَاء صَالِحَة لقبُول الْآثَار الفائضة عَلَيْهَا من هَذَا الْجِسْم اللَّطِيف بَقِي ذَلِك الْجِسْم اللَّطِيف مشابكا لهَذِهِ الْأَعْضَاء، وأفادها هَذِه الْآثَار من الْحس وَالْحَرَكَة الإرادية، وإِذا فَسدتْ هَذِه الْأَعْضَاء بسب اسْتِيلَاء الأخلاط الغليظة عَلَيْهَا وَخرجت عَن قبُول تِلْكَ الْآثَار فَارق الرّوح الْبدن، وانفصل إِلَى عَالم الْأَرْوَاح"[٣]

ثم قال ابن القيم بعده: "وَهَذَا القَوْل هُوَ الصَّوَاب فِي الْمَسْأَلَة الَّذِي لَا يَصح غَيره وكل الْأَقْوَال سواهُ بَاطِلَة وَعَلِيهِ دلّ الْكتاب وَالسّنة وَإِجْمَاع الصَّحَابَة وأدلة الْعقل والفطرة" ثم ذكر الأدلة.[٤]

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (٨/١٣)، ومقاييس اللغة (٤٦٠/٥)،ولسان العرب (٢٣٣/٦) باب السين فصل النون، مادة (نفس)، والقاموس المحيط ص (٥٧٧)، وتاج العروس(٥٥٩/١٦-٥٧٣).
(٢) ينظر: التعريفات للجرجاني: (٢٤٢-٢٤٣)، النجاة لابن سيناء ص (٢٥٨).
(٣) الروح، لابن القيم ص (٤٠٢)
(٤) ينظر: الروح، لابن القيم (٤٠٢ -٤٠٧)

وتعريفها عند المعاصرين:

ذكر العلماء المعاصرون للنفس عدةَ تعريفات؛ منها: أن النفس هي جوهر الإنسان، ومحرك أوجه نشاطه المختلفة؛ إدراكيةً، أو حركية، أو فكرية، أو انفعالية، أو أخلاقية؛ سواء أكان ذلك على مستوى الواقع، أو على مستوى الفهم، والنفس هي الجزء المقابل للبدن في تفاعلهما وتبادلهما التأثير المستمر والتأثر، مكونين معًا وحدةً متميزة نطلق عليها لفظ (شخصية) تُميز الفرد عن غيره من الناس، وتؤدي به إلى توافقه الخاص في حياته[٥].

النفس في القرآن الكريم:

وقد ذكرت النفس في القرآن الكريم ما يقرب من ثلاثمائة صورة تقريباً، ولكن بصيغ مختلفة وهي كالتالي[٦]:

الصورة	**عدد المرات**	الصورة	**عدد المرات**	الصورة	**عدد المرات**	الصورة	**عدد المرات**
أنفسهم	٩١مرة	نفسه	٤٠مرة	الأنفس	٦مرات	نفسها	مرتين
نفس	٧٥مرة	نفس	١٣مرة	أنفسنا	٣مرات	نفوسكم	مرة واحدة
أنفسكم	٤٩ مرة	نفسك	١٠مرات	أنفسهن	٤مرات	النفوس	مرة واحدة

(٥) ينظر: الموسوعة الإسلامية العامة، إشراف الدكتور محمود حمدي زقزوق ص (١٤٠٩-١٤١١).
(٦) ينظر: المعجم المفهرس الشامل لألفاظ القرآن الكريم بالرسم العثماني (١/ ١٣٣٥-١٣٤١).

معاني النفس ودلالاتها في القرآن الكريم:

وأما معاني النفس فقد ذكرت لها كتب الوجوه والنظائر معاني متعددة(٧) وهي: آدم، والقلب، ومنكم، وبعظكم، والإنسان، والروح، وأهل دينكم، وجملة الإنسان، والغيب وغيرها(٨) كلها تدل على الإنسان بوصفه كائنا حيا ذا أصل واحد، يتكاثر ويكسب ويشتهي ويغضب ثم يجازى على عمله، وقد استعملت بدلالات مختلفة تتلخص فيما يلي:

اولاً: الدلالة على الإنسان:

مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا ﴾ البقرة: ٤٨ وقوله تعالى: ﴿ لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَا ﴾ البقرة: ٢٣٣ وقوله تعالى: ﴿ مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا ﴾ المائدة: ٣٢ وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ التحريم: ٦ وقوله تعالى: ﴿ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ الزخرف: ٧١ وغيرها من المواضع.

ثانياً: الدلالة على أشخاص معينين:

(أ): مثل قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ الكهف: ٦ فهذه الآية تعني شخصا معينا وهو رسول الله ﷺ.

(ب): وقوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِي ﴾ يوسف: ٢٦ وهذه الآية معني بها يوسف عليه السلام.

---

(٧) ينظر: نزهة النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي (٥٩٥-٥٩٧)، والوجوه والنظائر للدامغاني (٢٦٧/٢-٢٦٩)، والوجوه والنظائر للعسكري (٤٧٣-٤٧٥)، وموسوعة الوجوه والنظائر في القرآن الكريم الجذر (ن ف س) (١٢٩٠/٣-١٢٩٢).
(٨) ينظر: المعجم المفهرس لمعاني القرآن الكريم (١٢٤٩/٢-١٢٥٩).

(ج): وقوله تعالى ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُ ﴾آل عمران:. ٩٣ وهذه الآية تعني شخصا معينا وهو إسرائيل وهو لقب يعقوب عليه السلام.

(د): قوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام ﴿ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي ﴾ المائدة: ١١٦ فهذه الآية معني بها عيسى عليه السلام.

ثالثاً: **الإشارة إلى ضمير الإنسان وما يبطن من أسرار**:

مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴾ ق: ١٦وقوله تعالى﴿ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا ﴾ الإسراء: ٢٥، وقوله تعالى﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ﴾الرعد: ١١.

رابعاً: الإشارة إلى أصل البشر: فالنفس الواحدة هي أصل البشرية جمعاء ومن هذه النفس الواحدة خلق الله كافة النفوس الإنسانية. مثل قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗ ﴾ النساء: ١، وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَا ﴾ الأعراف: ١٨٩.

خامساً: **الدلالة على الذات الإلهية**:

مثل قوله تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾آل عمران: ٢٨.

وقوله تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ آل عمران: ٣٠ وغيرها من الآيات.[٩]

ومن خلال ما سبق يتبين أن مفهوم النفس في القرآن لا يتوقف على معنى من المعاني بعينه، وإنما ترتبط دلالتها ومفهومها بالسياق الذي وردت فيه.

المطلب الثاني: مفهوم الأمن النفسي

الأمن في اللغة:

(أَمَنَ) الْهَمْزَةُ وَالْمِيمُ وَالنُّونُ أَصْلَانِ مُتَقَارِبَانِ:

أَحَدُهُمَا: الْأَمَانَةُ الَّتِي هِيَ ضِدُّ الْخِيَانَةِ، وَمَعْنَاهَا سُكُونُ الْقَلْبِ، وَالْآخَرُ: التَّصْدِيقُ.. قَالَ الْخَلِيلُ: الْأَمَنَةُ مِنَ الْأَمْنِ. وَالْأَمَانُ إِعْطَاءُ الْأَمَنَةِ. وَالْأَمَانَةُ ضِدُّ الْخِيَانَةِ.

والإيمانُ: ضدُّ الْكُفْرِ. والإيمان: بِمَعْنَى التَّصْدِيقِ، ضدُّه التَّكْذِيبُ. يُقَالُ: آمَنَ بِهِ قومٌ وكذَّب بِهِ قومٌ، فأَما آمَنْتُه الْمُتَعَدِّي فَهُوَ ضدُّ أَخَفْتُه. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ[١٠].

وقال الراغب الأصفهاني أصل الأمن هو: طمأنينة النفس وزوال الخوف.[١١]

والأمن اصطلاحا: هو عدم توقع مكروه في الزمان الآتي[١٢].

الأمن النفسي:

سبق بيان معنى الأمن النفسي باعتبار مفرده، ونخلص من ذلك إلى أن الأمن النفسي: هو شعور نفسي داخلي يفضي إلى طمأنينة النفس واستقرار القلب والهدوء في جميع مراحل الحياة وجوانبها المتعددة.

وقد جعل القرآن الكريم، وهدي رسول الله ﷺ محور هذا الأمن الإيمان الذي مقره القلب، سواء كان ذلك فيما يتعلق بالنفس ومتطلباتها، كالأمن الصحي، والأمن النفسي،

---

(٩) ينظر: علم النفس الإسلامي ص (١٤-١٥)، وطبيعة النفس البشرية في مراحل التكليف (٦-٧).
(١٠) ينظر: (مقاييس اللغة ١/١٣٣، ١٣٤)،لسان العرب لابن منظور (٩/١٣- ٢٦) باب النون فصل الهمزة، مادة (أمن)، القاموس المحيط (١١٧٦)، تاج العروس (٢٤/ ١٨٤- ١٩٤)
(١١) التعريفات للجرجاني: ص (٣٧).
(١٢) المفردات في غريب القرآن للراغب "كتاب الألف" ص (٢٥).

والأمن الغذائي، والأمن الاقتصادي، والأمن الأخلاقي، وغيرها، أو ما يتعلق بالمجتمع وترابطه: كالأمن في الأوطان، والأمن على الأعراض، والأمن على الأموال والممتلكات وغيرها.

أو ما يتعلق بالأمن على النفس من عقاب الله ونقمته بامتثال أمره، وطاعة رسوله، واتخاذ طريق المتقين مسلكاً لكي تنقذ النفس بكسب رضا الله، واستجلاب رحمته والأمن من عذابه في نار جهنم وغيرها.

وكل هذه الأنواع من الأمن مطالب ملحة تسعى إليها البشرية في كل عصر، وفي كل مكان؛ لأنها هي التي تلامس أوتار الخاصة والعامة، وأن النفس البشرية تبحث عن ذلك، ولا تدرك مدى الحاجة له والضرورة الملحة إليه، إلا بفقدانه، أو انتقاص مرتبة من مراتبه.

المطلب الثالث: **أنواع النفس في القرآن الكريم**

ذكر القرآن الكريم النفس في أكثر من موضع، وفي كل موضع جاء ذكرها موصوفة بوصف مختلف، ومن خلال الآتي سأستعرض تلك الأنواع انطلاقاً من تلك الآيات الكريمة، وكلام المفسرين عنها، سعياً في بيان كل نوع منها.

النوع الأول: **النفس الأمارة بالسوء**:

وهي النفس التي تأمر الإنسان بفعل السيّئات والتي أخبر عنها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ يوسف: ٥٣. فهي تأمر صاحبها بفعل كل رذيلة، تسيطر عليها الدوافع الغريزية، وتتمثل فيها الصفات الحيوانية، وتبرز فيها الدوافع الشريرة، فهي توجّه صاحبها بما تهواه من شهوات.(١٣) وأخبر سبحانه وتعالى عن تلك النفس أنها أمّارة ـ بصيغة المبالغة ـ وليست آمرة لكثرة ما تأمر بالسوء، ولأنّ ميلها للشهوات والمطامع صار عادة فيها إلاّ إنْ رحمَها الله عز وجل وهداها رُشدها.

(١٣)ينظر: علم النفس الإسلامي ص (١٨).

قال إمام المفسرين ابن جرير الطبري: "إن النفوس نفوس العباد، تأمرهم بما تهواه، وإن كان هواها في غير ما فيه رضا الله"[١٤].

وقال القرطبي في معنى قوله تعالى: "﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ يوسف: ٥٣: أي مشتهية له"[١٥].

وهذا النوع هو الذي يدفع العبد إلى ارتكاب ما حرم الله عز وجل من مخالفات ومنكرات، فإذا أطلق العبد لها العنان فإنه سيغرق في مستنقع الغي والضلال، وسوف يعيش حياة مليئة بالخوف والقلق، وعدم الاستقرار النفسي، ذلك الاستقرار الذي تبحث عنه كل نفس على وجه المعمورة، والذي لا يمكن أن يتحقق لإنسان تخلى عن الضوابط الشرعية، والأسباب الإيمانية التي توفر له الأمن والأمان والاستقرار في حياته.

ولذلك فإن التعامل مع هذا النوع يحتاج إلى ردع وزجر ونهي وصولاً إلى كبح جماحها، وفي معرض هذا قال رب العزة والجلال: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ النازعات: ٤٠ – ٤١. فمن خاف ربه، ونهى النفس عن اتباع هواها، كافأه الله تبارك وتعالى بالجنة، وجعلها مأواه ومستقره.

قال الإمام الطبري: "وأما من خاف مسألة الله إياه عند وقوفه يوم القيامة بين يديه، فاتقاه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ يقول: ونهى النفس عن هواها فيما يكرهه الله، ولا يرضاه منها، فزجرها عن ذلك، وخالف هواها إلى ما أمره به ربه، ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ يقول: فإن الجنة مأواه ومنزله يوم القيامة"[١٦].

(١٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (١٤٢/١٦).
(١٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢١٠/٩).
(١٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (٢١٢/٢٤).

وقال القرطبي: "﴿ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾ أي زجرها عن المعاصي والمحارم، وقال سهل: ترك الهوى مفتاح الجنة لقوله عز وجل: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾"[١٧].

النوع الثاني: النفس اللوامة:

هي التي أقسم بها الله في قوله تعالى: ﴿ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ القيامة: ٢

فاللوامة نفس متيقّظة تقيّة خائفة متوجّسة، تندم بعد ارتكاب المعاصي والذنوب فتلوم نفسها. تبرز فيها قوة الضمير فتحاسب نفسها أولاً بأوّل،[١٨] وهذه كريمة على الله، لذلك أقسم بها في القرآن. ومن أحسن أقوال التفاسير عن النفس اللوامة قول الحسن البصري: "إنّ المؤمن والله ما تراه إلا يلوم نفسه؛ ما أردت بكلمتي؟ ما أردت بأكلتي؟ ما أردت بحديث نفسي؟ وإن الفاجر يمضي قُدُماً ما يعاتب نفسه[١٩]".

والنفس اللوامة كل نفس تلوم نفسها يوم القيامة، يلوم المحسن نفسه أن لا يكون ازداد إحساناً، ويلوم المسيء نفسه أن لا يكون رجع عن إساءته.[٢٠]

روى ابن جرير الطبري بسنده عن سعيد بن جبير، قال: قلت لابن عباس (ولا أُقسم بالنفس اللوامة) قال: هي النفس اللؤوم. وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنها تلوم على ما فات وتندم[٢١].

وقال القرطبي: "ومعنى: ﴿ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ أي بنفس المؤمن الذي لا تراه إلا يلوم نفسه يقول: ما أردت بكذا؟ فلا تراه إلا وهو يعاتب نفسه...، قال الحسن: هي والله نفس المؤمن ما يرى المؤمن إلا يلوم نفسه: ما أردت بكلامي؟ ما أردت بأكلي؟ ما أردت

(١٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٨٠/١٩).
(١٨) ينظر: علم النفس الإسلامي ص (١٩).
(١٩) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (   ).
(٢٠) ينظر: بدائع التفسير الجامع لما فسره الإمام ابن قيم الجوزية (٢٢٤/٣).
(٢١) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (٤٩/٢٤).

بحديث نفسي؟ والفاجر لا يحاسب نفسه، وقال مجاهد: هي التي تلوم على ما فات وتندم، فتلوم نفسها على الشر لم فعلته، وعلى الخير لم لا تستكثر منه، وقيل: إنها ذات اللوم، وقيل: إنها تلوم نفسها بما تلوم عليه غيرها. فعلى هذه الوجوه تكون اللوامة بمعنى اللائمة"[٢٢].

ويقول العلامة ابن عاشور: "والمراد نفوس المؤمنين. ووصف اللوامة مبالغة لأنها تكثر لوم صاحبها على التقصير في التقوى والطاعة. وهذا اللوم هو المعبر عنه في الاصطلاح بالمحاسبة، ولومها يكون بتفكيرها وحديثها النفسي. قال الحسن:

" ما يرى المؤمن إلا يلوم نفسه على ما فات ويندم، على الشر لم فعله وعلى الخير لم لا لم يستكثر منه "فهذه نفوس خيرة حقيقة أن تشرف بالقسم بها وما كان يوم القيامة إلا لكرامتها"[٢٣].

فاللوم أسلوب تربوي ناجعٌ جداً في تربية النفس الإنسانية وتهذيبها، بل والعمل على خلق توازن نفسي يساعد النفس للعودة إلى الطريق السوي، ومن هناك تكون قد بدأت تسير إلى القمة، وهي الوصول إلى الشعور بالأمان والطمأنينة المنشودة.

النوع الثالث: النفس المطمئنة:

هي التي اطمأنت إلى خالقها، واطمأنت في بسط الرزق وقبضه وفي المنع والعطاء. وهي النفس المؤمنة التي استوعبت قدرة الله، وتبلور فيها الإيمان العميق والثقة بالغيب، لا يستفزها خوف ولا حزن، لأنها سكنت إلى الله واطمأنّت بذكره وأَنِسَت بقربه فهي آمنة مطمئنّة، تحسّ بالاستقرار النفسي والصحة النفسية، والشعور الإيجابي بالسعادة، رضيتْ بما أوتيتْ ورضي الله عنها فَحُق لها أن يخاطبها رب العالمين بقوله: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾ الفجر: ٢٧ – ٣٠[٢٤].

والنفس المطمئنة هي النفس التي تعيش في أمان واطمئنان إلى وعد الله تبارك وتعالى. قال الإمام الطبري: "يقول تعالى ذكره مخبراً عن قول الملائكة لأوليائه يوم

---

(٢٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨٤/١٩).
(٢٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٣٨/١٢-٣٣٩).
(٢٤) ينظر: علم النفس الإسلامي ص (١٩).

القيامة ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴾، يعني بالمطمئنة: التي اطمأنت إلى وعد الله الذي وعد أهل الإيمان به في الدنيا من الكرامة في الآخرة، فصدّقت بذلك"[٢٥].

وقال القرطبي: "والنفس المطمئنة: الساكنة الموقنة أيقنت أن الله ربها فأخبتت لذلك قاله مجاهد غيره، وقال ابن عباس: أي المطمئنة بثواب الله"[٢٦].

إن المتأمل في كتاب الله تعالى يدرك بما لا يدع مجالاً للشك أنه كتاب محكم، ومترابط ترابطاً وثيقاً، فجاء في سورة يوسف ذكر النفس الأمارة بالسوء، التي تأمر صاحبها بالمعصية والوقوع في السوء، ثم جاء في سورة القيامة ذكر النفس اللوامة التي تكثر لوم صاحبها عندما يقع فيما يغضب الرب جل وعلا، ثم جاء في سورة النازعات كيفية معالجة تلك النفس، وكيفية التعامل معها﴿ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴾ النازعات: ٤٠، ثم جاءت النتيجة الطبيعية في سورة الفجر لمعالجة النفس الأمارة بالسوء بنهيها عن هواها لتصبح نفساً مطمئنة. وفي هذا التأمل سرٌّ عظيمٌ من أسرار ترتيب القرآن.

إن النفس المطمئنة هي النفس التي توصل صاحبها إلى نعيم الله تعالى، فتوقن بما عند الله من جزاء، ليكون ذلك اليقين طاقة جبارة لها على الإقدام على فعل الخيرات، واجتناب المعاصي والموبقات، فتعيش في أمان وسلام دائم مستمر، لا تعيش القلق ولا تعرفه، وإذا قلقت تذكرت ما أعدّ الله لها من نعيم في الآخرة واطمأنت.

لقد بحث علماء النفس قديماً وحديثاً في النفس، وفيما يوصلها إلى الشعور بالأمان، فشرّقوا وغرّبوا، ولم يهتدِ منهم أحد إلى الوصول إلى مبتغاه إلى من ربط ذلك بالقرآن والإيمان، ووجدوا الدواء الناجع والأمن الحقيقي في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ الأنعام: ٨٢.

---

[٢٥] جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (٤٢٢/٢٤).
[٢٦] الجامع لأحكام القرآن (٥٢/٢٠).

إن القرآن الكريم هو الطريق الأقوم في معالجة النفس والرقي بها إلى أعلى المراتب، ولعل أروع ما حققه القرآن للنفس هو أنه رسم لها الطريق التي تجعلها نفساً مطمئنة آمنة ولا يكون ذلك الاّ بالإيمان بالله وحده.

ومن خلال هذا العرض نستطيع القول بأن النفس متغيرة الأحوال، فتارة تأمر صاحبها بالسوء والهوى، وتارة تلومه على فعل ذلك، وتارة تكون مطمئنة آمنة مستقرة.

وإن تلك التغيرات تساعد الإنسان أن يصل بتلك النفس إلى أعلى المراتب وأرقاها، وهذا من رحمة الله بعباده أن جعل النفس قابلة للتغير من حال إلى حال، فلو كانت ثابتة على حالة واحدة فلن يكون هناك تمييز بين المؤمن القوي والمؤمن الضعيف، كما أنه لن يكون هناك تمييز بين المؤمن والكافر، لأن النفس تحتاج إلى مجاهدة من صاحبها، فبإمكانه أن يوصلها إلى الإيمان، كما أنه بإمكانه أن يغرقها في وحل الكفر والطغيان، وهنا يأتي دور المجاهدة، ويبرز الفرق، لتجزى كل نفس بما كسبت.

المطلب الرابع: **خصائص النفس في القرآن الكريم**

لقد امتازت النفس الإنسانية بمميزات وخصائص ميزتها وجعلتها مستقلة بذاتها وكيانها، ويشير القرآن الكريم إلى أن النفس البشرية مستودع لكثير من الدوافع، وأن الإنسان مسؤول عن جميع تصرفاته وسلوكياته يقول سبحانه عن هذه النفس يوم القيامة ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ النحل: ١١١ تجادل عما كسبت من أعمال هي المسؤولة في تجادل عن كل ما عملت. وكل نفس يوم القيمة مسؤولة عما كسبت بمحض إرادتها يقول سبحانه: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ المدثر: ٣٨.

والمتأمل في آيات القرآن الكريم يجد أن هذه النفس البشرية تختص بخصائص من أهمها ما يلي:

الخاصية الأولى: أن النفس مفطورة على معرفة الله سبحانه وتعالى:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ الأعراف: ١٧٢ - ١٧٣.

فالآيات الكريمات تفيد إخباره تعالى أنه أخرج من بني آدم من ظهورهم ذريتهم جيلا بعد جيل، وأشهدهم على أنفسهم بما أودع في فطرهم وجبلهم عليه ونصب لهم من الأدلة والبراهين الدالة على أنه تعالى ربهم وخالقهم ورازقهم وإلههم ومعبودهم والمتصرف فيهم، حيث قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ﴾ أنك ربنا وإلهنا لأنه تعالى فطرهم على الإسلام والإيمان والتوحيد، مالم يغير هذه الفطرة شياطينهم وآباؤهم الكفرة باليهودية، والنصرانية، والمجوسية، والوثنية، ونحوها.

وفي هذه الآية أيضاً دليل على أن الإيمان بالإله الواحد مستقر في فطرة العقل، لو خلي بينه وبين نفسه بعيداً عن المؤثرات الجانبية.

وقد نقل الإمام ابن كثير في تفسيره عن القائلين من السلف والخلف إن المراد بهذا الإشهاد هو فطرهم على التوحيد وذكر مجموعة من النصوص على ذلك[٢٧].

ومن السنة قوله ﷺ: "كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثَلِ البَهِيمَةِ تُنْتَجُ البَهِيمَةَ، هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ"[٢٨].

([٢٧]) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٢٧/٢-٣٣١).

([٢٨]) أخرجه البخاري ف ي صحيحه في كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه حديث رقم (١٢٩٢). ومسلم في صحيحه في كتاب القدر في باب "كل مولود يولد على الفطرة" حديث رقم (٦٨٤٩).

وقوله ﷺ ذات يوم في خطبته: "أَلاَ إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلاَلٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا... "(٢٩)

الخاصية الثانية: أن النفس تعرف الخير وتحرص عليه، وتعرف الشر وتجزع منه:

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ الشمس: ٧ – ١٠.

فالنفس البشرية ألهمت فطرة معرفة الخير كما ألهمت معرفة الشر، حيث بين سبحانه في موطن آخر من كتابه أنه بين له طرق الخير من طريق الشر فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ البلد: ١٠.

يقول العلامة ابن عاشور: "وقد استعيرت الهداية هنا للإلهام الذي جعله الله في الإنسان بدرك به الضار والنافع وهو أصل التمدن الإنساني وأصل العلوم والهداية بين الإسلام إلى ما فيه الفوز. واستعير النجدان للخير والشر، وجعلا نجدين لصعوبة اتباع أحدهما وهو الخير فغلب على الطريقين، أو لأن كل واحد صعب باعتبار فطريق الخير صعوبته في سلوكه، وطريق الشر صعوبته في عواقبه، ولذلك عبر عنه بعد هذا بالعقبة"(٣٠).

ويقول سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ المعارج: ١٩ – ٢١ فهذه الآيات تصور حقيقة النفس البشرية في مواجهة الشر والخير، وفي حالة إيمانها وخلوها من الإيمان.

فالإنسان الخاوي قلبه من الإيمان هلوع، جزوع عند مس الشر له، يتألم للذعته ويجزع لوقعه، ويحسب أنه دائم لا كاشف له، ولا يتصور أن هناك فرجاً، ولا يتوقع من

(٢٩) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الآداب في باب صفات أهل الجنة وأهل النار حديث رقم (٧٣٠٩).
(٣٠) التحرير والتنوير (٣٥٥/١٢).

الله تغييراً، ومن ثم يأكله الجزع، ويمزقه الهلع، وهو منوع للخير إذا قدر عليه، يحسب أنه من كده وكسبه فيضنّ به على غيره، ويصبح أسير ما ملك من هذا الخير، مستعبداً للحرص عليه؛ ذلك أنه لا يدرك حقيقة الرزق ودوره فيه، ولا يتطلع إلى خير منه عند ربه، ومن ثم يبدو الإيمان بالله مسألة ضخمة في حياة الإنسان لا كلمة تقال باللسان، ولا شعائر تعبدية تقام، إنه حالة نس ومنهج حياة، وتصور كامل للقيم والأحداث والأحوال.(٣١)

ويقول تعالى: ﴿ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴾ فصلت: ٤٩.

وتصور هذه الآية الكريمة أيضاً صورة دقيقة صادقة للنفس البشرية التي لا تهتدي بهدي الله، فيصور تقلبها وضعفها، ومراءها، وحبها للخير، وجحودها للنعمة، واغترارها بالسراء، وجزعها من الضراء، فهذا الإنسان لا يسأم من دعاء الخير، فهو ملح فيه مكرر له، يطلب الخير لنفسه ولا يمل طلبه، وإن مسه الشر مجرد مس، فقد الأمل والرجاء، وظن أن لا مخرج له ولا فرج، وتقطعت به الأسباب، وضاق صدره وكبر همه؛ ويئس من حمة الله وقنط من رعايته؛ وذلك لأن ثقته بربه قليلة جداً، ورباطه به ضعيف.

الخاصية الثالثة: **والجحود التمرد والمكابرة والعناد**:

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الزمر: ٤٩.

ويقول سبحانه أيضاً: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ ﴾ العاديات: ٦ فيخبر سبحانه في هذه الآيات عن حقيقة الإنسان الغافل عن ربه أنه يلجأ إلى ربه في حالة الضراء ويلح في التضرع إليه سبحانه، فإذا انكشف ما به من ضر نسي ما كان عليه سابق عهده، وتنكر لخالقه سبحانه، وأن ما أنعم الله به عليه من النعم العظيمة أنما هي لمنزلة له عند الله عظيمة استحق بها هذا النعم، وما يدري المسكين أن هذه النعم اختبار من الله له وامتحان هل تزيده هذه النعمة قرباً من خالقه فيطيعه ويشكره ويؤدي حق الله في هذه النعمة أم

(٣١) ينظر: التفسير التربوي للقرآن الكريم (٣/٤٨٠).

يجحد ويكفر وهذا حال كثير من الناس فيعاقبه عليها، وتكون وبالا وحسرة عليه في الدنيا والآخرة. وكذلك إن هذا الإنسان ليتعامى عن الحق، ويتجاهل الأدلة الدامغة على وجوده تعالى، مع قناعته في قرارة نفسه إلى صدق هذا الدين. كما قال تعالى عن فرعون وقومه ومن هم على منواله من المنكرين والمناوئين لهذا الدين ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ النمل: ١٤.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ سبأ: ٣٤ – ٣٥ وغيرها من الآيات الدالة على تمرد هذا الإنسان وعناده، ومكابرته، ومجادلته بالباطل للرسل عليهم السلام كما هو مبين في آيات القصص القرآنية.

الخاصية الرابعة: التكليف:

فالنفس هي المكلفة شرعا: قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾البقرة: ٢٨٦، وقال تعالى: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ﴾البقرة: ٢٣٣.

الخاصية الخامسة: الشعور والإحساس:

فالنفس هي التي تشعر وتحس وتتألم: قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ العنكبوت: ٥٧.

الخاصية السادسة: الإبصار والإدراك للأمور:

فالنفس هي المبصرة: قال تعالى: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾ القيامة: ١٤.

الخاصية السابعة: الشعور بالحاجات:

فالنفس هي التي تشعر بالحاجة: قال تعالى: ﴿إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يوسف: ٦٨. وغيرها من الخصائص

المجبولة في النفس البشرية كشدة الحرص والتكالب على جمع المال، والتسرع والعجلة، الخوف والرجاء، والشح والبخل.

المبحث الثاني: دور القرآن الكريم في التربية النفسية

إن القرآن الكريم جاء ليربي هذه النفس الإنسانية، ويعدها إعداداً جيداً لتقوم بدورها ورسالتها التي أوجدت وخلقت من أجلها، وهو العبادة لخالقها ورازقها وهو الله سبحانه وتعالى. ولقد دأب القرآن الكريم على التربية النفسية في كثير من آياته، لكون كلام الله عز وجل يخاطب النفس البشرية عن علم ودراية بتركيبها وميولها ومداخلها. ولقد حرص القرآن الكريم من أول وهلة تنزل فيها من رب العالمين على تربية النفس تربية سليمة قويمة.

ولم يكن لهذا الدور أن يكتمل لولا وجود المعلم الرحيم، نبي الأمة والبشرية، الذي لا ينطق عن الهوى، فقد ربى نفوس الصحابة ﵃ تربية معلم ومربٍّ حاذق، فغرس في نفوسهم حب الله تعالى، فأحبوا الله ورسوله ﷺ، وزرع في نفوسهم الإيثار والتضحية فآثروه على نفوسهم وأموالهم وأبنائهم، رباهم على التسامح فأصبحت نفوسهم من أطيب النفوس وأنقاها، رباهم على ترك كل ما يؤدي إلى المشاحنات والمباغضات فعاشوا في أمان اجتماعي فريد. وبعد أن قُبضت روحه ﷺ ترك لأمته من بعده كنزاً ونوراً يهتدون به، تمثل في سيرته العطرة المباركة، وما تلقاه من رب العزة والجلال من الوحي، وما رواه عنه صحابته ﵃.

ويتلخص هذا الدور في عدة مطالب هي:

المطلب الأول: الأمر بتوحيد الله عز وجل

لقد أرسل الله الرسل ليدعو الى عبادة الله وحده وتوحيده، وكانوا يدعونهم أول ما يدعونهم إلى توحيد الله فإذا تم ذلك ووحدوه دعوهم إلى باقي العبادات.

فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: "إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذ جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن

محمدا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب"[٣٢].

ففي هذا الحديث النبوي توجيه الى التدرج في دعوة الناس الى الإسلام، فيبدأ في الأهم فالمهم ولما كان التوحيد هو أصل الإسلام، ولا يصح بدونه زكاة ولا صلاة كان هو أول ما يدعى إليه غير المسلم فإن أجاب دُعي إلى باقي العبادات.

فالتوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ الأعراف: ٥٩، وقال تعالى عن قوم هود عليه السلام : ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ الأعراف: ٦٥، وقال تعالى عن قوم صالح عليه السلام: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ الأعراف: ٧٣، وقال تعالى عن قوم شعيب عليه السلام: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ الأعراف: ٨٥، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى

([٣٢]) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا حديث رقم (١٤٢٥).

ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ النحل: ٣٦، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء: ٢٥.

وقال ﷺ: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله"[٣٣].

المطلب الثاني: الإرشاد إلى طلب العلم والعمل بمقتضاه لتحقيق العبودية لله

إذا تأمَّلنا آيات القرآن، وجدنا أنَّ اللهَ - تعالى - في أول ما أنزل على رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - يأمرنا بطلب العلم النافع بمعناه الواسع الشامل للعلم الشرعي وغيره مما كان نافعاً فقال تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ العلق: ١ – ٥ ثم جاء الأمر القرآني الآخر؛ لتأكيد هذه القضية والحث على طلب المزيد من العلم، فقال الله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾طه: ١١٤.

قال الإمام ابن القيم" وكفى بهذا شرفاً للعلم أن يسأله المزيد منه "[٣٤].

فقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ الزمر: ٩.

كما أنَّ الله سبحانه وتعالى جعل لطلبة العلم وأهله درجاتٍ عاليات عنده فقال تعالى:

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ المجادلة: ١١.

وقد رغب في طلب العلم وأن من سلك طريق العلم فقد سلك طريقاً إلى الجنة.

فقال عليه الصلاة والسلام: "مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَطْلُبُ فِيهِ عِلْماً سَلَكَ الله بِهِ طَرِيقاً مِنْ طُرُقِ الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضاً بِمَا يَصْنَعُ، وَإِنَّ الْعَالِمَ

(٣٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، باب (فإن تابوا وأقاموا الصلاة واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) حديث رقم (٢٥). ومسلم في كتاب الإيمان، باب أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله الا الله... حديث رقم (٣٢).

(٣٤) مفتاح دار السعادة لابن القيم : (٢٢٣-٢٢٤).

لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّموات وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ المَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَاراً وَلاَ دِرْهَماً إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ"(٣٥).

ولم يكتفي بالحث على طلب العلم فقط بل حثنا على الثمرة المرجوة من تعلم العلم وهي العمل بهذا العلم بل حذرنا من القول بدون العمل فقال سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ الصف: ٢ – ٣.

قال الإمام ابن جرير الطبري: "وأولى هذه الأقوال بتأويل هذه الآية قول من قال: عُني بها الذين قالوا: لو عرفنا أحب الأعمال إلى الله لعملنا به. ثم قصروا في العمل بعد ما عرفوا "(٣٦).

وقال الإمام السعدي أيضاً في تفسير هذه الآية: "أي: لم تقولون الخير وتحثون عليه، وربما تمدحتم به وأنتم لا تفعلونه، وتنهون عن الشر وربما نزهتم أنفسكم عنه، وأنتم متلوثون به ومتصفون به.

فهل تليق بالمؤمنين هذه الحالة الذميمة؟ أم من أكبر المقت عند الله أن يقول العبد ما لا يفعل؟ ولهذا ينبغي للآمر بالخير أن يكون أول الناس إليه مبادرة، وللناهي عن الشر أن يكون أبعد الناس منه، قال تعالى: ﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ البقرة: ٤٤.... "(٣٧).

المطلب الثالث: الأمر بمكارم الأخلاق والنهي عن رذائلها

لقد زكى الله عز وجل نبيه عليه الصلاة والسلام في كتابه الكريم بخلقه العظيم، حيث بلغ في كل خلق أكمله فقال سبحانه في مدحه وتزكيته: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ القلم: ٤ بل

---

(٣٥) أخرجه أبوداود في سننه برقم (٣٦٤١)، وابن ماجة في سننه برقم (٢٢٣)،والدارمي في سننه برقم (٣٤٢)، وابن حبان في صحيحه برقم (٨٨) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٧٠) ينظر: صحيح الترغيب والترهيب (٦٣/١-٦٨).

(٣٦) جامع البيان للطبري (٦٠٩/٢٢).

(٣٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ص (٨٥٨)..

تظافرت النصوص في كتاب الله عز وجل على الأمر بالتخلق بالأخلاق الحسنة، ونصت على الكثير منها فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ النحل: ٩٠. وقوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ الأعراف: ١٩٩. وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ الحجرات: ٦. وكذلك نهى الله في كتابه عن الأخلاق المذمومة ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴾ الحجرات: ١١ – ١٢

وهذه الأخلاق لها أهميتها في تحقيق الأمن النفسي في سلوك الفرد والمجتمع، فأثرها في سلوك الفرد لما تزرعه في نفس صاحبها من الرحمة، والصدق، والعدل، والأمانة، والحياء، والعفة، والتعاون، والتكافل، والإخلاص، والتواضع وغير ذلك من القيم والأخلاق السامية، فالأخلاق بالنسبة للفرد هي أساس الفلاح والنجاح، يقول تعالى: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ الشمس: ٩ – ١٠، ويقول سبحانه: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾ الأعلى: ١٤ – ١٥، والتزكية في مدلولها ومعناها: تعني: تهذيب النفس باطناً وظاهراً، في حركاته وسكناته[٣٨].

وأما أثرها في تحقيق الأمن النفسي في سلوك المجتمع كله، فالأخلاق هي الأساس لبناء المجتمعات الإنسانية إسلامية كانت أو غير إسلامية، يقرر ذلك قوله تعالى:

---
(٣٨) ينظر: خلق المسلم للغزالي ص (١٥).

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ العصر: ١ – ٣. فالعمل الصالح المدعم بالتواصي بالحقّ، والتواصي بالصبر في مواجهة المغريات والتحديات من شأنه أن يبني مجتمعاً محصناً لا تنال منه عوامل التردي والانحطاط، وليس ابتلاء الأمم والحضارات كامناً في ضعف إمكاناتها المادية أو منجزاتها العلمية، إنما في قيمتها الخُلُقية التي تسودها وتتحلى بها.(٣٩)

ولقد دأب القرآن الكريم على التربية النفسية في كثير من آياته، لكون كلام الله عز وجل يخاطب النفس البشرية عن علم ودراية بتركيبها وميولها ومداخلها.

ولم يكن لهذا الدور أن يكتمل لولا وجود المعلم الرحيم، نبي الأمة والبشرية، الذي لا ينطق عن الهوى، فقد ربى نفوس الصحابة ﷺ تربية معلم ومربٍّ حاذق، فغرس في نفوسهم حب الله تعالى، فأحبوا الله ورسولهﷺ، وزرع في نفوسهم الإيثار والتضحية فآثروه على نفوسهم وأموالهم وأبنائهم، رباهم على التسامح فأصبحت نفوسهم من أطيب النفوس وأنقاها، رباهم على ترك كل ما يؤدي إلى المشاحنات والمباغضات فعاشوا في أمان اجتماعي فريد.

وبعد أن قُبضت روحه ﷺ ترك لأمته من بعده كنزاً ونوراً يهتدون به، تمثل في سيرته العطرة المباركة، وما تلقاه من رب العزة والجلال من الوحي، وما رواه عنه صحابته ﷺ.

(٣٩) ينظر: الأخلاق الإسلامية للمرسي (٢٦).

المبحث الثالث: وسيلة تحقيق الأمن النفسي وأهم آثارها

إن الوسيلة العظمى لتحقيق الأمن النفسي هي الإيمان بالله: فيتحقق للإنسان من الأمن بمقدار ما يتحقق له من الإيمان بالله كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ الأنعام: ٨٢. وأخبرنا نبينا محمد ﷺ عن ربه فيما أعده لأوليائه من عباده المؤمنين فقال رسول الله ﷺ: " إن الله قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته "[٤٠] فلا ريب أن تكون هذه النفس التي حصلت على هذه المنزلة العظيمة آمنة مطمئنة راضية بسبب هذا الإيمان العظيم الذي تعيشه في واقع حياتها فأكسبها هذه المنزلة عند خالقها.

وقال سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾ الفتح: ٤.

قال العلامة السعدي في تفسير هذه الآية: "يخبر تعالى عن منته على المؤمنين بإنزال السكينة في قلوبهم، وهي السكون والطمأنينة، والثبات عند نزول المحن المقلقة، والأمور الصعبة، التي تشوش القلوب، وتزعج الألباب، وتضعف النفوس، فمن نعمة الله على عبده في هذه الحال أن يثبته ويربط على قلبه، وينزل عليه السكينة، ليتلقى هذه المشقات بقلب ثابت ونفس مطمئنة، فيستعد بذلك لإقامة أمر الله في هذه الحال، فيزداد بذلك إيمانه، ويتم إيقانه، فالصحابة رضي الله عنهم لما جرى ما جرى بين رسول الله ﷺ والمشركين، من تلك الشروط التي ظاهرها أنها غضاضة عليهم، وحط من أقدارهم، وتلك لا تكاد تصبر عليها النفوس، فلما صبروا عليها ووطنوا أنفسهم لها، ازدادوا بذلك إيمانا مع إيمانهم"[٤١].

---

(٤٠) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق، باب: (التواضع) حديث رقم (٦٥٠٢).
(٤١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ص (٧٩١).

وفي الاستجابة لأمر الله والانقياد له والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره آثار في تحقيق الأمن النفسي لدى المؤمن، ومن أهم هذه الأثار ما يلي[٤٢]:

- بعث الطمأنينة في النفس: فإن الإيمان بالله يبعث في النفس الطمأنينة، ويبعد عنها الهم والقلق والاضطراب، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾الرعد: ٢٨.
- أن الإيمان يبعث في النفس حب الخير للناس، في التعاون معهم، ومساعدتهم. لقوله ﷺ" **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه "**[٤٣]
- أن الإيمان ينمي في النفس الصبر والرضا واليقين والثبات عند الشدائد، ونزول المصائب، فالمؤمن لا ييأس ولا يغيض ولا يجزع ولا يسخط مهما تعاظمت الخطوب فيصبر ويحتسب هذا الأمر عند الله. لقوله ﷺ: " عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ "[٤٤].
- إن الإيمان ينمي في النفس القناعة بقسمة الله في الرزق والصحة والقدرات والمواهب القناعة بها وفي كل ما يرزقه الله، فيعيش حياته في رضاء وطمأنينة لا يقلق من قلة رزقه، بل يشكر الله على رزقه هذا إيماناً بأنه سبحانه هو الرزاق كما قال تعالى:

﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ ﴾الرعد: ٢٦.

- إن الإيمان يسمو بغايات النفس، فتسموا أفعالها، فغاية المؤمن ليست جمع المال، ولا في الجاه والسلطان، ولا للتفوق والنجاح، لكنها في عبادة الله التي خلق من أجلها لقوله تعالى: (وما خلق الجن والأنس إلا ليعبدون).

---

(٤٢) ينظر: المدخل إلى علم الصحة النفسية لكمال إبراهيم ص (١٢٩).
(٤٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، باب: (من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه) حديث رقم (١٣).
(٤٤) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، في باب أمر المؤمن كله خير)حديث رقم :(٢٩٩٩) .

إن أي إنسان على وجه المعمورة يحاور نفسه ويسألها عن كيفية الوصول إلى الإيمان الحقيقي لكي يحقق السعادة والسكينة والطمأنينة التي ينشدها ويسعى إليها كل إنسان لينعم بالأمن النفسي.

إننا نستطيع أن نصل إلى هذا الإيمان بنور الله وسنة رسوله ﷺ، ونور الله هنا هو القرآن الكريم الذي نستدل به على الطريق السليم ونأخذ منه دستور حياتنا، وننعم بنوره الذي ينير القلب والوجدان والنفس والروح والعقل جميعاً.

لقد عُني القرآن الكريم بالنفس الإنسانية عناية شاملة، عناية تمنح الإنسان معرفة صحيحة عن النفس وقاية وعلاجاً دون أن ينال ذلك من وحدة الكيان الإنساني، وهذا وجه الإعجاز والروعة في عناية القرآن الكريم بالنفس الإنسانية، وترجع هذه العناية إلى أن الإنسان هو المقصود بالهداية والإرشاد والتوجيه والإصلاح.

لقد أوضح لنا القرآن الكريم في كثير من آياته الكريمة أهمية الإيمان للإنسان وما يحدثه هذا الإيمان من بث الشعور بالأمن والطمأنينة في كيان الإنسان، وثمرات هذا الإيمان هو تحقيق سكينة النفس وأمنها وطمأنينتها.

والإنسان المؤمن يسير في طريق الله آمناً مطمئناً، لأن إيمانه الصادق يمده دائماً بالأمل والرجاء في عون الله ورعايته وحمايته، وهو يشعر على الدوام بأن الله عز وجل معه في كل لحظة، ونجد أن هذا الإنسان المؤمن يتمسك بكتاب الله لاجئاً إليه دائماً، فهو بالنسبة له خير مرشد في تحقيق الاستقرار النفسي له.

فمهما قابلته المشاكل، وواجهته المحن؛ فإن كتاب الله وكلماته المشرقة بأنوار الهدى كفيلة بأن تزيل ما في نفسه من وساوس، وما في جسده من آلام وأوجاع، ويتبدل خوفه إلى أمن وسلام، وشقاؤه إلى سعادة وهناء كما يتبدل الظلام الذي كان يراه إلى نور يشرق على النفس، ويشرح الصدر، ويبهج الوجدان، فهل هناك نعمة أكبر من هذه النعمة التي إن دلت على شيء فإنما تدل على حب الله وحنانه الكبير وعطائه الكريم لعبده المؤمن.

إن كتاب الله يوجه الإنسان إلى الطريق السليم، ويرشده إلى السلوك السوي الذي يجب أن يقتدي به، يرسم له طريق الحياة التي يحياها فيسعد في دنياه ويطمئن على آخرته.

إنه يرشده إلى تحقيق الأمن النفسي والسعادة الروحية التي لا تقابلها أي سعادة أخرى ولو ملك كنوز الدنيا وما فيها.

إنه يحقق له السكينة والاطمئنان، فلا يجعله يخشى شيئاً في هذه الحياة، فهو يعلم أنه لا يمكن أن يصيبه شر أو أذى إلا بمشيئة الله تعالى، كما يعلم أن رزقه بيد الله، وأنه سبحانه وتعالى قد قسم الأرزاق بين الناس وقدَّرها، كما أنه لا يخاف الموت بل إنه حقيقة واقعة لا مفر منها، كما أنه يعلم أنه ضيف في هذه الدنيا مهما طال عمره أو قصر، فهو بلا شك سينتقل إلى العالم الآخر، وهو يعمل في هذه الدنيا على هذا الأساس، كما أنه لا يخاف مصائب الدهر ويؤمن إيماناً قوياً بأن الله يبتليه دائماً في الخير والشر، ولولا لطف الله سبحانه لهلك هلاكاً شديداً.

إنه يجيب الإنسان على كل ما يفكر فيه، فهو يمنحه الإجابة الشافية والمعرفة الوافية، لكل أمر من أمور دينه ودنياه وآخرته.

إن كتاب الله يحقق للإنسان السعادة لأنه يسير في طريقه لا يخشى شيئاً إلا الله، صابراً حامداً شاكراً ذاكراً لله على الدوام، شاعراً بنعمة الله عليه، يحس بآثار حنانه ودلائل حبه، فكل هذا يبث في نفسه طاقة روحية هائلة تصقله وتهذبه وتقومه وتجعله يشعر بالسعادة والهناء، وبأنه قويٌ بالله، سعيد بحب الله، فيُنعِم الله عز وجل عليه بالنور والحنان، ويفيض عليه بالأمن والأمان، فيمنحه السكينة النفسية والطمأنينة القلبية.

ومما سبق يتضح لنا أن للقرآن الكريم أثراً عظيماً في تحقيق الأمن النفسي، ولن تتحقق السعادة الحقيقية للإنسان إلا في شعوره بالأمن والأمان، ولن يحس المؤمن إلا بنور الله الذي أنار سبحانه به الأرض كلها، وأضاء به الوجود كله، بدايته ونهايته، وهذا النور هو القرآن الكريم.

ويؤكد لنا القرآن الكريم بأنه لن يحقق للإنسان الطمأنينة والأمان إلا بذكره لله عز وجل، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ الرعد: ٢٨.

إذن علينا أن نتمسك بكتاب الله ونقتدي به، ونتدبر في آياته البينات، ونتأمل في كلماته التي لا تنفد أبداً، حتى نتحلى بالإيمان الكبير في هذه الرحلة الروحية مع آيات الله فنتزود بما جاء به القرآن الكريم من خلق عظيم، وأدب حميد، وسلوك فريد، ومعرفة شاملة بحقيقة النفس الإنسانية كما أرادها الله عز وجل أن تكون، وترتقي حيث الحب والخير والصفاء والنوارنية، فننعم بالسلام الروحي الممدود، والاطمئنان القلبي المشهود، والأمن النفسي المنشود.

المبحث الرابع: تطبيقات على أثر القرآن الكريم في تحقيق الأمن النفسي

المطلب الأول: أثر القرآن على النفس

لقد اعتنى علماء المسلمين بتأثير القرآن الكريم في النفوس عند قراءته أو الاستماع إليه، وعدوا هذا وجهاً من وجوه الإعجاز وسموه الإعجاز النفسي.

ويعد الإمام الخطابي من أوائل العلماء الذين بينوا وجه الإعجاز النفسي في القرآن الكريم حيث قال: " قلت: في إعجاز القرآن وجه آخر، ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب، وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن ـ منظوماً ولا منثوراً ـ إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس، وتنشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه، عادت إليه مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق، وتغشاها الخوف والفرق، تقشعر منه الجلود، وتنزعج له القلوب، يحول بين النفس ومضمراتها وعقائدها الراسخة فيها، فكم من عدو للرسول ﷺ من رجال العرب وفتاكها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله، فسمعوا آيات من القرآن فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم

أن يتحولوا عن رأيهم الأول، وأن يركنوا إلى مسالمته، ويدخلوا في دينه، وصارت عدواتهم موالاة، وكفرهم إيماناً "(٤٥).

إن ما يتركه القرآن من أثر على النفس يؤثر حتى فيمن لا يفقه معناه من العجم، إنه معجزة الله الخالدة، فمهما كان تأثير الخطباء والبلغاء في المستمعين فلا مجال هناك للمقارنة، إنه تأثير روحي يغير من مسار الفرد في حياته، فكم سمعنا من قصص تدور حول هذا التأثير العجيب، تأثير يجعل الدمع يسكب، والقلب يرتعد، والفرائص ترتجف، تأثير يغير مسار حياة الفرد بأكملها، تأثير لا يُقاوم. ولقد حكى الله سبحانه وتعالى عن رسله عليهم السلام وزكاهم بهذا التأثر ونقل لنا شأنهم مع هذا الكتاب العزيز: فقال سبحانه عنهم: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ مريم: ٥٨. فهؤلاء الذين أنعم الله عليهم من النبيين إذا تتلى عليهم آيات الله التي أنزلها عليهم في كتبه خروا لله تعالى سجداً وبكيّا استكانة وتذللاً وخضوعاً لأمره وانقياداً لطاعته.

ونعرض صوراً من تأثير هذا القرآن على هذه النفس الإنسانية سواء كانت مؤمنة أو كافرة وما ينتج عن هذا التأثير في النفس، وسوف أورد صوراً من تأثيره في نفوس الأنبياء والصالحين حتى الجن تأثرت وآمنت به ودعت إليه ، ومن تلك النماذج والصور:

الصورة الأولى:

لقد كان نبينا محمد ﷺ من أول المتأثرين به من أمته، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: " اقرأ عليَّ "، قال: قلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: "نعم"، فقرأت النساء حتى أتيت على هذه الآية ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ

(٤٥) الرماني والخطابي والجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص: (٧٠).

وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴾ النساء: ٤١، قال: " حسبك الآن "، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان.[٤٦].

قال القرطبي رحمه الله: " قال علماؤنا: بكاء النبي ﷺ إنما لعظيم ما تضمنته هذه الآية من هول المطلع وشدة الأمر، إذ يؤتى بالأنبياء شهداء على أممهم بالتصديق والتكذيب ويؤتى به ﷺ يوم القيامة شهيداً "[٤٧].

فتلك الدموع الطاهرة لم تسكب إلا من تأثير القرآن الكريم على نفس رسولنا الطاهرة عليه الصلاة والسلام.

الصورة الثانية:

تأثر النجاشي وقساوسته لما قرأ عليه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه في الهجرة الأولى إلى الحبشة، صدراً من سورة مريم فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته وبكى أساقفته حتى اخضلت مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم[٤٨].

الصورة الثالثة:

تأثر عمر بن الخطاب رضي الله عنه به عند سماعه في بيت أخته صدر سورة "طه" فكان هذا التأثر سبب إسلامه، وهذه القصة أوردها ابن هشام في سيرته[٤٩].

الصورة الرابعة:

تأثيره على الجن وإيمانهم به مباشرة، فقد بلغ تأثيره على الجن مبلغه حينما سمعوه من النبي ﷺ، وكيف صنع القرآن الكريم من تأثير في نفوس الجن لما سمعوا كلام الله لم يترددوا في القول: ﴿إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا﴾ فأعظم به من تأثير وأزكى به من إعجاز يفعل سحره في النفوس، ويلامس إعجازه شغاف القلوب، فتلين وترق وتسمو رغم ما غرقت

---

(٤٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب: قول المقرئ للقاري :حسبك رقم [٤٧٦٨]؛ وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل استماع القرآن رقم [٨٠٠].

(٤٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧٢/٥).

(٤٨) ينظر: السيرة النبوية لأبن هشام ص (٣٣٥/١-٣٣٦)،و الرحيق المختوم للمباركفوري ص(١١١).

(٤٩) ينظر: السيرة النبوية لأبن هشام ص (٣٤٢/١-٣٤٨).

فيه من عوالم الجاهلية والخشونة والرعونة، وهذا التأثير في الجن أعظم دليل على الإعجاز النفسي(٥٠).

وبهذا يتجلى بكل وضوح مدى تأثير القرآن على النفس، وأن هذا التأثير النفسي هو الطريق الأوحد إلى الشعور بالأمان والاستقرار، كون ذلك لا يتحقق إلا بما وراء ذلك التأثر العجيب، والمتمثل في الهداية التي يسلكها الفرد بعد تأثره بالقرآن فتضفي عليه راحة وأماناً لا يقدّر بثمن.

المطلب الثاني: أثر القرآن على القلب

إن تأثير القرآن على القلب تأثير عظيم، يلين القلب ويرققه، ويجعله مهيّأً للإيمان الذي يقود النفس إلى الشعور بالأمان والاستقرار، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ الأنفال: ٢. أي: تسكن نفوسهم من حيث اليقين إلى الله وإن كانوا يخافون الله فهذه حالة العارفين بالله الخائفين من سطوته وعقوبته(٥١).

والوجل: الخوف وارتعاش القلب، وقد أجملت الآية ذكر الله إجمالاً بديعاً ليناسب معنى الوجل، فذكر الله يكون بذكر اسمه، وتلاوة آياته، وذكر ثوابه ورحمته، وكل ذلك يحصل معه الوجل حين استحضار جلال الله وعظمته وشدته وبأسه ورحمته وسعة ثوابه وهو وجل يبعث إلى الاستكثار من الخير(٥٢).

ويقول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ الزمر: ٢٣.

---
(٥٠) ينظر: دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (٩٨/٢).
(٥١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٣٣/٤).
(٥٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٥٦/٥).

هذه الآية ومثيلاتها من الآيات فيها دلالة واضحة على مدى تأثير القرآن على قلوب مستمعيه ومتدبريه.

فهذا جبير بن مطعم ﷺ قبل أن يسلم ذهب للمدينة بشأن أسرى بدر فوجد النبي صلى الله يصلي المغرب فحكى لنا عن نفسه مدى تأثير ما سمعه من القرآن على قلبه فقال: "سمعت النبي ﷺ يقرأ المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴾ الطور: ٣٥ - ٣٧ كاد قلبي أن يطير". وفي رواية: "وذلك أول ما دخل الإيمان قلبي"[٥٣].

وما دخول الإيمان في القلب إلا دليل على الأمان النفسي الذي قاده إلى الإيمان.

ولعل الصحابية الجليلة أم الدرداء رضي الله عنها عبرت تعبيراً بليغاً عن شعور مس شغاف قلبها وعن تجربة مرت بها من خلال تأثرها بآيات القرآن الكريم حيث قالت: "إنما الوجل في قلب ابن آدم كاحتراق السعفة، أما يجد لها قشعريرة؟ قالوا: بلى، قالت: فادعوا إذا وجدتم ذلك فإن الدعاء يستجاب عند ذلك "[٥٤].

فأي شعور بالأمان بعد ذلك!

ومن خلال هذا العرض يتبين لنا أن للقرآن تأثيراً عجيباً على القلوب، فيجعلها ترق وتوجل، وإذا تأثر القلب ظهرت علامات التأثر على الجسد كله، فالعين تدمع، والعقل يفكر ويتدبر، والجلد يقشعر.

فما هي النتيجة بعد كل هذا؟ إنه الشعور بالأمان الذي حُرم منه كثير من الناس، بسبب بعدهم عن كتاب ربهم، فلما ابتعدوا حُرموا أسباب التأثر بهذا الكتاب العظيم، ولما حُرموا أسباب التأثر وبالتالي فقدوا الاستقرار النفسي الذي لم يعد موجوداً في حياتهم.

---

(٥٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، تفسير سورة الطور حديث رقم: [٤٨٥٤].
(٥٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥٢/٢).

المطلب الثالث: أثر القرآن على السلوك

لقد كان للقرآن الكريم أثراً عظيماً تحكيه لنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عندما سئلت عن خلقه عليه الصلاة والسلام فقالت لسائل: ألست تقرأ القرآن؟ قلت بلى. قالت: "فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن"(٥٥)، أي تمثله سلوكاً في واقع حياته، وتمثله أصحابه وأمته من بعده فغير شخصياتهم وأسلوب حياتهم وسلوكهم، فكوّن منهم أفراداً أصحاب مبادئ وقيم إنسانية، ومجتمعاً قوياً متعاوناً، فاستطاعوا أن ينشروا دعوة الإسلام في معظم بلاد العالم، وهزموا الروم والفرس أكبر دولتين في العالم ذلك الوقت.

وقد جاء القرآن الكريم متناسباً مع احتياجات النفس الإنسانية، مطلعا على كل زوايا هذه النفس وأبعادها –كيف لا- والله سبحانه قد خلقها ووضع لها في القرآن الكريم ما يناسبها من الدواء الطبيعي للأمراض النفسية مهما بلغت من حدتها ومضاعفاتها، ولا يمكن أن تتوفر حالة الاطمئنان بالشكل التام إلا بذكر الله، وهو القائل: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ الرعد: ٢٨.

ويتضح لنا أثر القرآن في تحقيق الأمن على السلوك الإنساني من خلال ما يلي:

١- أن الأسس التربوية في القرآن الكريم هي الوحيدة التي تكفل سعادة الإنسان والمجتمع، لأن القرآن يدرك ما يجري في النفس الإنسانية من حالات مرضية، أسبابها ومسبباتها ونتائجها، فيبدأ بمعالجة الأسباب الرئيسة لهذا الأمراض فيقلع جذور الفساد من الأساس حيث قال سبحانه: ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴾ غافر: ١٩ ويعلم أن الإنسان ظلوم جهول حيث حمل أمانة عظمى: ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴾ الأحزاب: ٧٢.

٢- أن التربية القرآنية لا تسمح للعقد النفسية أن تنمو في المناخ الملائم حيث يهيئ الإسلام مناخات مضادة للعقد النفسية فيحلها دون أن ينميها لكيلا تتحول إلى حالة مرضية

(٥٥) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض حديث رقم: [٧٤٦].

عسيرة كمرض الحسد والحقد والتكبر والغيبة والسخرية وسوء الظن وغيرها من الأمراض النفسية. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴾ الحجرات: ١١ – ١٢.

٣- أن القرآن الكريم يدفع بالمسلمين لإنشاء الأخوة الإنسانية وعلى أوسع دوائرها ضمن قوانين عادلة تحكم السلوك والعلاقات والأخوة الإسلامية، ويدفع الإسلام إلى التغاضي والتجاوز عن كثير من الأمور التي تسبب تعكير الصفو الاجتماعي. كما ذكر سبحانه في القرآن الكريم بقوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ الحجرات: ١٠. وقوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ الحجرات: ١٣.

٤- إن التربية القرآنية تخلق في الإنسان (مراقباً داخلياً). فيضع له الضوابط الشرعية لضمان سعادته، فهو من ناحية يخلق في داخل الإنسان رقابة ذاتية على سلوكياته وتصرفاته حيث يؤمن الإنسان في ظل الشريعة الإسلامية بأن التبريرات مهما بلغت من قدرتها الكبيرة في الإقناع فإنها لا تقنع بما يحيط بالإنسان إحاطة تامة ويعرف أسرار الأمور. فالتبريرات قد تنجح في إقناع الناس أو الحكام، ويمكن أن تنطلي عليهم الحقائق، لكن الله سبحانه لا تخفى عليه خافية. حتى أن في يوم القيامة يتعجب الإنسان من كتابه الذي يعتبر سجلاً لأعماله. يقول تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴾ الكهف: ٤٩.

٥- إن من روائع المعجزة الخالدة من الناحية السلوكية أننا نلاحظ هذا المنهج الفريد قد أحاط الإنسان من كل جانب، فهو يهتم بالإنسان قبل انعقاد نطفته، ويعتني بالجنين منذ انعقاده نطفة وإلى أن يخرج من رحم أمه طفلاً، ومنذ الوهلة الأولى يضع القرآن الكريم والإسلام بشكل عام أسساً تربوية وسلوكية له، وكلما كبر الإنسان تنمو معه هذه الأسس التربوية كي تحيط حياته تماماً في بلوغه وشبابه ونضوجه وحتى يهرم ويموت ويدفن.

٦- إن القرآن الكريم يأتي بالأسس الأخلاقية لكي لا يتيه الإنسان في بحر الغرور والعجب بماله وجماله أو منزلته الاجتماعية بل يذكره دائماً بالموت والفناء ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾الأنبياء: ٣٥. وإن الدنيا عاقبتها الزوال.

٧- إن القرآن الكريم يدفع بالإنسان نحو أعمال الخير والصدقات والسلوك المعتدل رهبة ورغبة، وهكذا في داخل الأسرة والمجتمع والعلاقة بين الأبوين والزوجين والعمل الخارجي مع الناس، وما الأمر بإقامة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلاّ ضمان لاستقامة سلوك النفس الإنسانية، وإيجاد جهاز المراقبة الاجتماعية الهادفة لنشر الخير والصلاح.

وبذلك يظهر لنا كيف أن القرآن له تأثير على سلوك الفرد بل وسلوك الأسرة والمجتمع، من خلال تعاليمه وتوجيهاته المفضية إلى الاستقرار النفسي.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، أما بعد:

فأحمد الله عز وجل على ما أنعم به وتفضل من التوفيق في إعداد هذا البحث الذي أسأل المولى تبارك وتعالى أن يجعله في ميزان حسناتي، وأن يرزقني الإخلاص في القول والعمل.

ومن خلال استعراض موضوع البحث فقد تبين لي بعض النتائج، ومن أهمها:

١) أن القرآن الكريم رسم للنفس البشرية منهجاً يوفر لها الأمن والاستقرار.

٢) أن النفس البشرية تختلف معانيها ومدلولاتها في القرآن الكريم حسب السياق الذي وردت فيه.

٣) أنه مهما بلغت الدراسات النفسية من تقدم وتطور فإنها تبقى عاجزة عن توفير الأمن النفسي للأفراد والمجتمعات ما لم تستمد دراساتها من القرآن الكريم والسنة النبوية.

٤) أن للنفس خصائص ومميزات خصها الله تبارك وتعالى بها ليميزها عن غيرها.

٥) أن للقرآن الكريم تأثيراً عجيباً على النفس الإنسانية حتى وإن كانت غير مسلمة لا تفقه من القرآن شيئاً.

٦) أن الإيمان النقي والقرآن هما أهم أسباب الاستقرار النفسي.

٧) أن تأثير القرآن الكريم على القلب تظهر آثاره على سلوك الإنسان.

هذا وأسأل المولى عز وجل أن يجعل هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني بما علّمني، وأن يتجاوز عني، فهذا الجهد، وعليه التكلان، والحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر:

١) بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن القيم الجوزية، جمعه ووثق نصوصه: يسري السيد محمد، نشر: دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، سنة: ١٤٢٧هـ.

٢) التحرير والتنوير، تأليف: محمد الطاهر بن عاشور، دار النشر، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م.

٣) تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الزبيدي، نشر: دار الهدية.

٤) التعريفات، لعلي بن محمد الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الابياري، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، سنة: ١٤١٣هـ.

٥) تفسير القرآن العظيم، لإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير، القاهرة دار ابن الجوزي، ١٤٣٠هـ٢٠٠٩م.

٦) التفسير التربوي للقرآن الكريم، لأنور الباز، القاهرة: دار النشرللجامعات: ٢٠١٣م.

٧) تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: عبد السلام هارون وآخرون، نشر: الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، سنة: ١٣٨٤هـ

٨) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة: سنة: ١٤١٧هـ.

٩) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للروماني والخطابي والجرجاني: تحقيق: محمد خلف الله، القاهرة: دار المعارف، الطبعة الرابعة: الرابعة، ١٩٩١م.

١٠) جامع البيان عن تأويل آي القران، تأليف: محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، دار النشر: دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.

١١) الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، دار النشر: دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

١٢) الجامع لأحكام القرآن، تأليف: أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار النشر: دار الشعب، القاهرة.

١٣) خلق المسلم: لمحمد الغزالي، الناشر: دار الدعوة: الإسكندرية، الطبعة: السادسة، ١٤٢٠هـ.

١٤) الأخلاق الإسلامية: لحسن السعيد المرسي، الناشر: مكتبة المتنبي: السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٧هـ.

١٥) دلائل النبوة: تأليف: أبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني، دار النشر: دار النشر: دار النفائس، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

١٦) المدخل إلى علم الصحة النفسية: لكمال إبراهيم مرسي، الكويت: دار القلم، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨/.

١٧) الرحيق المختوم، تأليف: صفي الرحمن المباركفوي، دار النشر: دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر، ١٩٩١م.

١٨) الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، تأليف: أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ -١٩٧٥م.

١٩) السيرة النبوية، تأليف الإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الابياري، وعبد الحفيظ شلبي،. موسسة علوم القرآن، دار القبلة للثقافة الإسلامية.

٢٠) شعب الإيمان، تأليف أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد بسيوني زغلول، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة١٤١٠هـ.

٢١) صحيح مسلم، تأليف: أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار النشر: دار إحياء التراث، بيروت.

٢٢) العقيدة الإسلامية وأسسها، تأليف عبدالرحمن بن حنبكة، دمشق: \ار القلم، الطبعة الثانية: ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٢٣) علم النفس الإسلامي، تأليف: معروف رزيق، دار النشر: مطبعة العلجوني، دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٢٤) القرآن والطبائع النفسية، تأليف: علي محمد العماري، دار النشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، الطبعة الأولى.

٢٥) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف: محمود بن عمر الزمخشري، رتبه وضبطه وصححه: مصطفى حسين أحمد، دار النشر: دار الكتاب العربي.

٢٦) لسان العرب، تأليف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار النشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤١٤هـ..

٢٧) مصنف عبدالرزاق، تأليف: عبدالرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق، حبيب الرحمن الأعظمي، دار النشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٢٨) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: لمحمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت. سنة: ١٤١٩هـ١٩٩٨م.

٢٩) معاني القرآن الكريم، تأليف: النحاس، دار النشر: جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٩هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد علي الصابوني.

٣٠) موسوعة الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، إعداد: د/ أحمد محمد البريدي ود/فهد إبراهيم الضالع، الرياض: دار التدمرية: الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.

٣١) الموسوعة الإسلامية العامة، إشراف.: أ. د/ محمود حمدي زقزوق، القاهرة: وزارة الأوقاف، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٣٢) المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم، إعداد: محمد بسام رشدي الزين، دمشق: دار الفكر، الطبعة الثانية: ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٣٣) المعجم المفهرس الشامل لألفاظ القرآن الكريم بالرسم العثماني، إعداد: عبد الله إبراهيم جلعوم، الرياض: مركز تفسيرللدراسات القرآنية، الطبعة الأولى: ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

٣٤) الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري، تحقيق: محمد عثمان الناشر: مكتبة الثقافة الدينية القاهرة: الطبعة: الأولى: ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٣٥) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم أراضي، الناشر: مؤسسة الرسالة، لبنان- بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.